

النظرية البنائية في العلاقات الدولية

Constructivism Theory in International Relations

حنان دريسي

جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، Drissi.hanane@univ-alger3.dz

تاريخ النشر: 2021/12/27

تاريخ قبول النشر: 2021/10/10

تاريخ الإستلام: 2021/06/26

ملخص:

شهدت العقود الأخيرة تطورا كبيرا في مجال دراسة العلاقات الدولية إذ برزت مجموعة من المداخل والنظريات الجديدة أخذت تنافس النظريات التقليدية كالواقعية والليبرالية التي اعتمدت الفلسفة الوضعية كأساس لفرضياتها الإبتيمولوجية والمنهجية، وقد تعددت الاتجاهات الجديدة وأخذت دورها فيما سمي بالجدل الراهن في العلاقات الدولية، ومن بين النظريات الجديدة النظرية البنائية التي يقدمها أتباعها على أنها جسر يصل بين النظريات الوضعية بالنظريات النقدية الجديدة أو ما بعد الوضعية. وقد جاء هذا الموضوع لدراسة الافتراضات الأساسية للنظرية البنائية وإسهامها في الجدل الراهن في العلاقات الدولية.

الكلمات المفتاحية: النظرية البنائية – الجدل الراهن – البنائية – العلاقات الدولية

Abstract:

The last few decades have witnessed a substantial development in the study international relations. Many new theories and approaches have become part of the current debate within international relations. One of these new approaches is constructivism which many scholars believe constitutes a bridge between the positivis theories and the post positivist theories. This study seks to examine the basic assomptions of constructivisme and its contribution to the current debate within international relations.

Key words : Constructivism theory- current debate – International Relations.

1. مقدمة:

شهد حقل العلاقات الدولية اتجاهات عديدة مع بداية القرن الحادي والعشرين، تقدّم كل منها رؤية أو تصورا مختلفا عن العلاقات بين الوحدات الفاعلة في النظام الدولي، ويدور الجدل الراهن في العلاقات الدولية - خاصة منذ انتهاء الحرب الباردة - بين مختلف هذه النظريات أو المداخل التي يمكن إجمالها بطرفي هذا الجدل، إذ تُولف النظريات التقليدية الوضعية التي سادت مرحلة الحرب الباردة وما قبلها - الطرف الأول، في حين تُولف التيارات النقدية أو ما بعد الوضعية - التي سادت مرحلة ما بعد الحرب الباردة - الطرف الثاني.

إنّ جوهر هذا الجدل هو إبيستمولوجي وأنطولوجي، إذ يعتقد أنصار الطرف الأول بحتمية أثر البنية في سلوك الفاعل، وأنّ هناك حقيقة خارجة عن نطاق تأثير الفاعل، ويمكن اكتشاف هذه الحقيقة بالملاحظة والتجريب، وتستبعد هذه النظريات دور القيم والثقافة والصفات الخاصة بالفاعل بوصفها عوامل مؤثرة في سلوك الفاعل. في حين يرى الطرف الثاني أن الظواهر السياسية لا تتكرر، وهذا ينقض الأساس الذي تقوم عليه السلوكية بوجود نمذجة وتكرار للظاهرة السياسية والاجتماعية ممّا يجعلها قابلة للدراسة عن طريق الملاحظة والتجريب، كما ترفض التيارات النقدية الافتراض الذي تنطلق منه النظريات الوضعية بوجود حقيقة مستقلة عن الإرادة البشرية يمكن إكتشافها بالطرق العلمية، أيضا يشير أتباع النظرية النقدية إلى أنه لا يمكن فصل الذات عن الموضوع.

من هنا جاءت النظرية البنائية لتقدم نفسها كجسر يربط بين النظريات الوضعية والنظريات ما بعد الوضعية، كونها تنطلق من الفرضيات الأساسية للنظريات الوضعية أو التفسيرية بأنّ الدولة فاعل أساسي في العلاقات الدولية وتسعى لتحقيق مصالحها الوطنية، وفي الوقت نفسه تسعى البنائية إلى تسليط الضوء على دور الهوية والثقافة والأفكار في تحديد المصلحة الوطنية للفاعل وبذلك يتحدد سلوكه في السياسة الدولية.

من ثم جاءت هذه الدراسة للإجابة على التساؤل الرئيسي التالي: هل استطاعت النظرية البنائية تفسير التحولات التي عرفها عالم ما بعد الحرب الباردة من خلال إعطاء بناء نظري منسجم لتغطية فجوة التنظير في العلاقات الدولية ؟

2. تطوّر البنائية في العلوم الاجتماعية

تعود جذور " البنائية " إلى القرن الثامن عشر في كتابات الفيلسوف الإيطالي " جيامبا فيكو " الذي جادل بأنّ العالم الطبيعي من خلق الله والعالم التاريخي من صنع الإنسان، وأن التاريخ كعملية تطورية يخضع للتأثير الإنساني، كما اعتبر الدول بني تاريخية، ممّا يؤكد أنّ البنائية هي فكرة قديمة في تاريخ الفكر السياسي¹.

فالبنائية ولدت وتطورت في ظل العلوم الأخرى بعيدة عن علم السياسية، خاصة علم الاجتماع، الفلسفة والأنثروبولوجية من خلال إنتاج وإعادة الإنتاج في الممارسات الاجتماعية في ظروف إقتصادية وتاريخية². حيث كان لها وجود مؤثر في مختلف فروع العلوم الاجتماعية وتمّ تناوله في علم الاجتماع من خلال النظرية البنائية الوظيفية والتي شغلت حيزا كبيرا في أدبيات علماء الاجتماع خاصة في بدايات القرن العشرين على يد كل من إميل دوركايم والذي إهتم أكثر

بالبنائية الوظيفية كما وضح أنّ المجتمع يتكون من القواعد الإجتماعية والتي تضبط السلوك لتحقيق هدف المؤسسة الإجتماعية³، كما ركّز على المعتقدات والوعي العام، كما إهتم بدور الأفكار في الحياة الإجتماعية وكيف تكون مسببا اجتماعيا، ويرى أنّ الحقائق الإجتماعية تتكون بتجميع الحقائق الفردية عبر التفاعل الإجتماعي⁴.

أما تالكون بارسونز T.parsons فإنه وضع أسس البنائية الوظيفية ورأى أنّ الفعل الإجتماعي يتكون من فاعلين وكل طرف أو فاعل له فاعليته يؤثر في السلوك، وتشارك الأطراف المعنية في أنساق وفق ما زوّدت من قيم ومعتقدات ومعايير ورموز⁵. فحسب بارسونز فإن بناء النسق الإجتماعي يضم مجموعة من المكونات البنائية وهي: السلوك (هو وحدة داخل النسق وجزء من عملية التفاعل)، والمكانة (مركز الفاعل أو موقفه، والدور (وهو ما يقوم به الشخص فاعلا).

كما يركز على النسق والذي هو نمط منظم من العلاقات بين الفاعلين (التفاعل) تحدد فيه حقوقهم وواجباتهم، اتّجاه بعضهم البعض، وتشهد إطارا من القيم والمعايير المشتركة⁶.

طرح "أنطوني غدينز" نظرية في السبعينات من القرن الماضي بعنوان "التشكيل البنائي" وظهرت أكثر في كتابه "تكوين المجتمع" عام 1984 من خلال تأكيده على ربط الفعل بالبناء، وأنّ البناء يحدد الفعل أو العكس. كما ركّز في نظريته على الممارسات الإجتماعية المنتظمة عبر الزمان والمكان وعلى العلاقة التبادلية بين الظواهر، وأنّ تشكيل الفاعلين والأبنية ليس ظاهرتين مستقلتين، كما ربط أيضا الفعل بالقوة بمعنى أن الفاعل لديه القدرة على التأثير⁷، حيث ركّز كثيرا على مفهوم البنية، وانتقد النظريات العقلانية خاصة الواقعية⁸.

أما في مجال التاريخ فقد استخدمه "هايدن وايت" وفي مجال السياسة الخارجية "ريتشارد سنايدر" من خلال بحثه حول الدور الذي تلعبه الإدراكات والمعتقدات في عملية صنع القرار في مجال السياسة الخارجية⁹.

أما المنظرين النقديين فيرجعون البنائية إلى النظرية النقدية الإجتماعية خاصة إلى "يرغن هابرمس" و"ميشال فوكو" فهي تحمل جزءا من أفكارهم، فحسب "روس سميث" و"بروس برون" البنائية مذهب إجتماعي نقدي وسمي بهذا الاسم نظرا لخصائصه المتعلقة ببنية المجتمع وعالم السياسة.

3. تطور البنائية في العلاقات الدولية

إنّ عجز نظريات الإلتجاه التفسيري على بلورة إلتجاه نظري متكامل في العلاقات الدولية، كان من بين الأسباب التي مهدت السبيل أمام ظهور نظريات الإلتجاه التكويني - التأملي - في العلاقات الدولية، ومن بينها النظرية البنائية. حيث يرى الكثير من المنظرين أنّ البنائية هي ثمرة تطور النظرية النقدية للحوار الثالث في الثمانينات، والتي حاولت الإلمام بكل عناصر ومتغيرات النظرية بغية تقديم منظور متكامل يؤسس لبناء نظرية عامة في العلاقات الدولية، بل إنّ هناك من يصفها بالجسر الرابط Bridge Gap بين الإلتجاهات الوضعية التفسيرية و النظريات ما بعد الوضعية التكوينية¹⁰، لأنها - في إعتقادهم - محاولة تنظيرية تركيبية أكثر منها نظرة نقدية أو تحدي لدراسات وأبحاث المدرستين الواقعية والليبرالية الجديديتين.

غير أنّ البنائية برزت كنظرية قائمة بذاتها في العلاقات الدولية مع نهاية الحرب الباردة، وبالتحديد أواخر الثمانينات من القرن العشرين، بسبب إخفاق نظريات الاتجاه التفسيري في التنبؤ بنهاية الحرب الباردة سلمياً، بينما تستحوذ البنائية على وجه الخصوص ونظريات الاتجاه التكويني الأخرى على وجه العموم بناءاً نظرياً تحليلياً بشأن نهاية الحرب الباردة¹¹.

عموماً هناك أربع إسهامات أساسية أثرت في تأسيس التوجه النظري البنائي، حيث نجد :
أولها من خلال كتابات "جون راغي" John Ruggie " حول مركزية الأفكار والمعايير في السياسة الدولية ، وما كتبه سنة 1983 رداً على أعمال " والتز " نظرية السياسة الدولية " ، حيث وجّه انتقاده إلى البنية التي اعتمدها والتز وتجاهله لدور التفاعلات الداخلية ضمن عناصر المنظمة لنسق الدولة المعاصرة، حيث نجده ساهم في وضع أسس حركة مضادة¹².

وثانياً نجد منشور "ريتشارد أشلي" Richard Achely سنة 1984 . حيث وجّه انتقادات شديدة للفكر الواقعي الجديد وتمسكه بالدولة كفاعل أساسي والذي لا يساعد على رؤية عالم تشغله فواعل غير دولانية.
وثالثاً نجد "الكسندر وندت" Alexander Wendt الذي أدخل إلى دراسات العلاقات الدولية إشكالية الفاعل بالبنية وعلاقتها بالسياسة الدولية ، حيث أكدّ على فشل رؤية أن البنية تفعل أكثر من مجرد تقييد للفواعل ، فهي أيضاً تشكل الهويات ومصالح الفواعل.

وربما أعمال "فريد كراتشويل" Friedriche kratochwil حيث أدخل لدراسة العلاقات الدولية مسألة التمييز بين القواعد المنظمة والقواعد المؤسسة ، كما اهتم بتبني مناهج لفهم كيف أنّ العوامل تعطي معنى لهذه القيم وتفهمها¹³.

لكن من يعود له الفضل في ظهور البنائية كنظرية هو "نيكولاس أنوف" Nicolas onuf لأول مرة في العلاقات الدولية، والذي يعد أول من استعمل مصطلح "البنائية" (constructivism) في كتابه "عالم من صنعنا" « world of our Making » منتقداً فيه أفكار وفرضيات واقعية والتز الجديدة.

لقد اعتبرت البنائية المحاولة الأبرز والأكثر جذابة من طرف "النقديين" لبناء نظرية "اختيارية" لتحليل وتفسير السياسة الدولية . ومع أنّ أصولها نقدية تنتمي إلى تيار المابعديات (خصوصاً ما بعد الوضعية) إلا أنّ تصنيفها يطرح إشكالية حقيقية ، فتوجهاتها الإستيمولوجية تضعها في خانة الوضعيين ، أما خياراتها الانطولوجية فتضعها في خانة ما بعد الوضعيين ، إلا أنّها توضع في خانة مقاربات مابعد الوضعية ، نظراً لتقاطعها معها في التحدي والثورة ضدّ الاتجاه السائد المتمثل في المقاربات العقلانية .

لقد كان للبنائيين* تحفظات واستدراكات على العقلانيين في المجالين الإستيمولوجي والمنهجي، لكنهم اختلفوا معهم في المجال الأنطولوجي للعلاقات الدولية، لقد أشار كل من "كراتشويل" و"جون راغي" إلى أنّ هناك

تناقضا في النظرية " البنوية " التي يقدمها الواقعيون الجدد ، وذلك بين الإستيمولوجيا الذاتية التي يفرضها مفهوم التحليل البنيوي وبين المنهج العقلاني للنظرية ذاتها¹⁴.

حدد هؤلاء الباحثون بدقة المشكل المنهجي الذي تعانیه النظريات العقلانية، حيث أنه من أجل تحديد طبيعة الفواعل وهوياتها ومصالحها فإنهم يهتمون هذه البنية ويفترضون أن هذه الطبيعة محددة سلفا (كائنات مادية عقلانية)، وبالتالي، فهم يقبلون أن بنية النظام الدولي هي التي تشكل سلوك الدول، لكنهم يرفضون فكرة أنها تشكل كذلك هوياتها ومصالحها. وهنا نلاحظ كيف تحولت الإنتقادات الإستيمولوجية والمنهجية إلى نقاشات وجدالات تتعلق بمسائل أنطولوجية، حيث طفت إلى سطح التنظير إشكالية البنية - الفاعل في تحليل العلاقات الدولية . وللمخرج من هذا المأزق، يقترح البنائيون فكرة التشكيل المتبادل بين البنية والفاعل، فكما تعمل البنية على تشكيل الفاعل وتحديد هويته ومصالحه. فإنّ الفواعل ومن خلال تفاعلهم الإجتماعي يعملون على إعادة تشكيل البنية.

لقد حاولت البنائية حلال موقف وسط بين الوضعيين وما بعد الوضعيين في مسألة إدراك العالم أو الواقع، أي بين الإدراك المادي المباشر له من طرف الوضعيين وبين النفي لوجوده المادي إلا من خلال اللغة والخطاب كما يقول به ما بعد الوضعيين، حيث تؤمن البنائية بإمكانية الوجود المستقل لهذا الواقع، ولكن إمكانية إدراكه ومعرفة تتم عن طريق الهوية.

4. الافتراضات الأساسية للنظرية البنائية

هناك أربعة افتراضات تنطلق منها البنائية في العلاقات الدولية¹⁵:

- 1- تتخذ البنائية موقعا مغايرا لموقف النظريات الوضعية من مفاهيم أساسية في العلاقات الدولية مثل (المصلحة الوطنية، الهوية، الأمن القومي)، إذ يرفض البنائيون قبول هذه المفاهيم كما هي معطاة، كما يهتم البنائيون بالقوى الفاعلة من غير الدولة، مثل: المنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى ذلك يركز أتباع البنائية على العوامل المعرفية والذاتية التي تنتج عن تفاعل هذه الوحدات في علاقاتها البينية .
- 2- يرى البنائيون بنية النظام الدولي على أنها بنية إجتماعية تتضمن مجموعة من القيم، والقواعد، والقوانين هذه البنية تؤثر على الهوية والمصلحة للفاعلين.
- 3- البنائية كما يستدل من اسمها، تنظر إلى النظام الدولي بأنه عملية دائمة مستمرة من البناء الحاصل من التفاعل بين الفاعلين والبناء نفسه، فبالنسبة للبنائيين العالم دائما هو قضية متجددة ليس شيئا تمّ، وانتهى وعلينا قبوله كما هو ، وهذا بالطبع موقفا مختلف عن موقف الواقعيين والبيراليين وحتى الراديكاليين بنظرهم للبناء.
- 4- لقد قدّم أتباع النظرية البنائية مساهمات جادة في الحوار، والجدل الإستيمولوجي والأنطولوجي في العلاقات الدولية، إذا يرفض البنائيون الافتراضات الوضعية بوجود قوانين وشبه قوانين تحكم الظاهرة الإجتماعية والسياسية

بعيدة من إرادة الفاعل وقدرته على التأثير في محيطه، كما ترفض البنائية افتراضات الوضعية بإمكانية الموضوعية، أي فصل الذات عن الموضوع.

تأسيساً لهذه الافتراضات ، ومن أجل الاستيعاب الجيد لها ، يمكن أن نقارنها بشئى الافتراضات التي تركز عليها الاتجاهات النظرية التقليدية التفسيرية ، وفي هذا الصدد ، يمكن أن نسجل بأنّ البنائية تتميز عن الواقعية من حيث عدم تحديدها للواقع حسب توزيع القوى المادية ، معتمدة في ذلك على الأفكار والعلاقات الاجتماعية بين البشر التي تجد مصدرها في الوعي الإنساني أو بعبارة أخرى ، بعكس العقلانيين (الواقعيين ، التعديين والشموليين) ، فإنّ البنائيين ينظرون للواقع نظرة تذاثانية، لأنه حصيلة ذلك الإتصال الاجتماعي الذي يكفل له بتقاسم بعض المعتقدات والقيم.

إلى جانب ذلك، ترفض البنائية ما يسمى بتصوّر كرة البليارد Billiard Ball Image للعلاقات الدولية ، والذي تعتمد عليه الواقعية ، لأنّه فشل - في نظرها - في إبراز أفكار ومعتقدات الفاعلين الذي أقحموا أنفسهم في النزاعات والصراعات الدولية . بينما يرغب البنائيون في اختيار ما يوجد بداخل كريات البليارد للوصول إلى إدراك تصوّر معتمّق بشأن تلك الصراعات¹⁶ . بيد أن البنائية تتقاسم بالمقابل - مع الواقعية بعض الافتراضات ، لا سيما تلك المتعلقة بفوضوية النظام الدولي ، انعدام الثقة في نوايا الوحدات السياسية الأخرى وعقلانية الفاعلين¹⁷.

من خلال ما سبق نستنتج بأنّ البنائية تسعى من خلال افتراضاتها إلى إنتهاج منظور إجتماعي إرادوي مخالف للمفاهيم المادية والحتمية للإتجاهات النظرية التقليدية، ولاسيما المتعلقة بالواقعية الجديدة .

ومن خلال بحثها في العلاقة الجدلية الترابطية الموجودة بين بنى النظام الدولي والممارسات والوقائع الاجتماعية تعتمد البنائية على تأثير الأفكار في السياسة الدولية ، ممّا يعني أنّها تولي أهمية كبيرة لمصادر التغيير ولذلك فالبنائيون - على غرار النقيدين- لا يعتقدون بوجود واقع إجتماعي خارجي موضوعي معطى بعينه ، لأنّ الواقع الإجتماعي - عندهم- ليس وحدة مادية أو طبيعية أو شيء مادي خارج الوعي الإنساني ، النظام الدولي هو من إختراع الإنسان ، فهو نتاج الوعي الإنساني ، فهو يتكون - حسب البنائية- من مجموعة من الأفكار ، بناء فكري ، نظام للقيم والمعايير التي نظمت من طرف بنى البشر في سياق زمكاني متصل ، وإذا تغيرت الأفكار فإن النظام الدولي يتغيّر كذلك ، وبهذا المعنى ، فإنّ البنائية هي ثورة أو تهجم على الإتجاهات النظرية التقليدية في العلاقات الدولية.

لقد أولت البنائية أهمية بالغة للبنى المثالية (غير المادية) التي تحكم العلاقات بين مختلف الفواعل في دراسة السياسة الدولية، إذ ركّزت على تحليل دور الثقافة والقيم والأفكار في العلاقات الدولية، وكذلك دور وأثر المتغيرات النفسية والفهم الجماعي المشترك في تشكيل مصالح وأفضليات الدول، جنباً إلى جنب مع المتغيرات المادية التي يعتمدها العقلانيون¹⁸.

من ثمة يخلص البنائيون إلى القول بأنّ واقع السياسة الدولية هو من طبيعة ذاتانية (Inter-subjectivity) وهو نتاج لتفاعل والإتصال الإجتماعي الذي يسمح بتقاسم المعتقدات والقيم والأفكار ، فالواقع المادي أو الإجتماعي موجود كنتيجة للمعنى والوظائف التي يعطيها له الفاعلون ، والإدراكيون أو الفهم الجماعي هو ما يمنح الأشياء المادية معنى ما يساعد على تكوين الواقع¹⁹.

5. المفاهيم الأساسية للبنائية في تحليل السياسة الدولية

حاول "الكسندر وندت" تقديم أنموذج معتدل من البنائية الإجتماعية يعكس توجهه الإستيمولوجي الوضعي وأنطولوجيته المثالية . وذلك من خلال المزج بين متطلبات المنهج العلمي والإستفادة من المناهج القائمة على التفاعلية الرمزية والسيكولوجية في تحليل وفهم السلوكيات الإجتماعية والإنسانية من جهة أخرى²⁰ . لقد اعتبر "وندت" أنّ نجاح التفكير البنائي حول السياسة الدولية يرتبط بقدرته على إنتاج مجموعة من المفاهيم تتوافق مع منطلقاته الانطولوجية، وفيما يلي عرض لأهم المفاهيم التي يوظفها البنائيون في تحليلهم وفهم للسياسة الدولية.

5.1 مفهوم الدولة والقوة لدى البنائية

يرى أتباع البنائية، أنه لا يمكن تحليل السياسة الدولية وفهمها بالتركيز فقط على بنية النظام الدولي كما يعتقد الواقعيون الجدد الذين يرون بأنّ بنية النظام الدولي (توزيع القوة في النظام الدولي) بشكل ألي و أوتوماتيكي يؤثر في سلوك الدول، بل يرفض البنائيون هذا التعميم في أثر النظام الدولي في سلوك الدول، وبالمقابل يرى البنائيون أنّ الدول تتصرف بهذا الشكل نتيجة العلاقات الاجتماعية، وتفاعلها مع بنية النظام الدولي التي تشكل إطارا إجتماعيا من القواعد والقيم التي تتصرف الدول من خلالها، من ذلك نستنتج أن البنائيين يصوّرون على أن السياسة الدولية ليست بالضرورة محكومة بالقوة والمصلحة فقط، فهناك مبادئ وقيم ومفاهيم مثل : السيادة وعدم التدخل التي تشكل ضابطا لهذه الوحدات ، وإن كانت تخترق بعض الأحيان ، فمخالفة القاعدة لا يعني عدم وجودها²¹.

فعلى سبيل المثال مفهوم توازن القوى "Balance of power" لا يصبح قانونا كما يعتقد الواقعيون بل هو مفهوم أو قاعدة تقبله الدول على مرّ الزمن نتيجة استخدامه المتكرر من قبل الدول والوحدات الأخرى ، وتتصرف بناء على هذه القاعدة أو العرف ، ممّا يجعله يبدو كالقانون الملزم في العلاقات الدولية تأخذه الدول على أنه نافذ في كل زمان ومكان.

إنّ مفهوم القوة كما يراه البنائيون ليس كما يراه الوضعيون إذ يعد الواقعيون القوة جوهر العلاقات الدولية، وخاصة القوة العسكرية التي تعدّ بنظرهم هدفا ووسيلة في تحقيق المصالح الوطنية، أمّا بالنسبة للبنائيين فمفهوم القوة هو بناء إجتماعي يمدّ ذاته يتحدد معناه وأثره من خلال التفاعل بين الوحدات الفاعلة في النظام الدولي والبناء التي يحتوي هذا التفاعل²².

5.2 المصلحة الوطنية عند البنائية

يعدّ مفهوم المصلحة الوطنية من المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، ومن أكثرها غموضاً وإذا كان هذا المفهوم من المفاهيم المركزية للواقعية، حيث ينظر إليه على أنه شيء تملكه الدول، ويركز على بعض الأسس. أما التيارات النقدية في العلاقات الدولية لا تعتبره شيئاً معطى مسبقاً لأن الدولة في نظرها - ليست وحدة متكاملة وتتصرف بصوت واحد، بل هناك العديد من الطبقات والجماعات ومراكز القوى التي تساهم في تعريف المصلحة الوطنية. بالنسبة للبنائية، فالمصلحة الوطنية ليست شيئاً محدداً بشكل موضوعي، بل هي مشروع دائم التكوين ويختلف مع اختلاف الزمن، والعلاقات الاجتماعية للفاعل والبنائيون مهتمون بشكل كبير بالعلاقة بين المصلحة (Interest) والهوية (Identity) وكيف تحدد الأفكار المصلحة أو بالعكس. ومن ثمة فإنّ أتباع البنائية يعتقدون أنّ الهوية، والأفكار والمصلحة هي مفاهيم لا يمكن الحديث عن أحدها بدون الآخر²³.

3.5 أهمية الهوية عند البنائية:

تعتبر "الهويات" عنصراً مهماً في السياسة الدولية كما في السياسات الداخلية للدول، حيث تقوم بوظيفة التعريف في المجتمع، فهي تحريك وتحريك الآخرين من أنت؟ وتحريك من هم الآخرون؟²⁴، ولقد جاء مصطلح "الهوية" من علم النفس الاجتماعي إذ يشير إلى تلك الأشكال أو الأنماط من الفردية والتميز (الأنا) التي يحملها ويعكسها الفاعل، والتي تتشكل ويجري تعديلها عبر العلاقات التفاعل مع الآخرين²⁵.

يعرف ألكسندر وندت الهوية بالقول إنها "...خاصية للفاعلين القاصدين تنتج ميولات سلوكية دافعية معينة، هذا يعني أن الهوية هي في الأصل خلة أو سجية ذاتية.... ومتجذرة في الفاعل ذاته، وعلاوة على ذلك، فإن المعنى هذا الفهم الذاتي أو دلالاته سوف يعتمد على ما إذا كان الفاعلون الآخرون يعترفون بذلك الفاعل بنفس الطريقة التي يرى بها ذاته، وبهذا الشكل تكون للهوية صفة منظومية ومرتبطة أيضاً بفهم الآخرين الذاتي للفاعل"²⁶.

وإذا كانت الهوية عند "وندت" تشير إلى من نحن ومن هم الآخرون؟ فإن "المصالح" تشير إلى ماذا يريد الفاعلون؟ إنها تعني الحاجات والرغبات التي تسعى الدول إلى تحقيقها. العقلانيون يعتبرون أن مصالح الدول وهوياتها هي معطاة ومحددة مسبقاً وبالتالي لا يطرحون أي أسئلة بشأنها فإن البنائيين يبحثون في الكيفية التي تتشكل بها هذه الهويات والمصالح. وعليه فالسؤال الأساسي الذي يطرحه البنائيون لا يتعلق بمعرفة لماذا يختار اللاعبون سلوكاً معيناً؟ وإنما كيف يكون اللاعبون هوياتهم ومصالحهم قبل أن يختاروا سلوكاً معيناً؟

حسب البنائيون عنصر "الهوية" له أسبقية وجودية على عنصر "المصالح" فلا يستطيع الفاعل أن يعرف ماذا يريد حتى يعرف من يكون. ذلك أن هوية الفاعل هي التي تقوده إلى تحديد خياراته ورغباته بدقة وتعمل على تزويده بالدافع اللازم لتحقيقها.

إذن تؤثر الهويات بشكل مباشر على تحديد مصالح الدول وأفعالها فيما بعد، من ثمة فإنها تنطوي على قيمة تحليلية كبيرة بالنسبة لباحثي العلاقات الدولية.

4.5 العلاقة التبادلية بين البنية والفاعل

جاءت البنائية كإطار نظري مهم في العلاقات الدولية، لمعالجة إشكالية العلاقة بين الفاعل (actor) بالبنية (structure) أو ما يسمى مشكلة الفاعل /البنية. وهي ثنائية تتصل بمستوى التحليل. كما تشير إلى أفضل تصور للعلاقة بين الدولة والنظام الدولي والفاعلين الآخرين.

وقد استعارت البنائية هذه الثنائية من النظرية الاجتماعية وتم إدخالها في العلاقات الدولية من طرف ألكسندر وندت " عام 1987، حيث أثار هذا الأخير هذه الإشكالية بعدما كانت محسومة لدى الواقعيين الجدد في أن البنية (النظام الدولي) هي التي تحدد وتشكل سلوك الدول دون هوياتها ومصالحها التي يعتبرها (كينيث والتز) محددة مسبقا. وبالتالي يصبح سلوك الدول هو دالة تابعة لمتغير مستقل هو النظام الدولي.

حسب وندت من المستحيل أن يكون للبنية أو الهيكل دور بمنأى عن خصائص/سمات وتفاعلات الوكلاء²⁷، فكما أن البنية (النظام الدولي) تلعب دورا مهما في تشكيل هويات ومصالح وسلوكات الفاعلين (الدول) فكذلك الأمر بالنسبة للفاعلين التي تعمل على تشكيل وإعادة تشكيل البنى من خلال تفاعلها الاجتماعي، وعليه كما يعتقد وندت فإن عملية التشكيل تكون متبادلة بين البنى والفاعلين وهي ما يفسر إمكانية التغيير الحاصلة سواء في بنية وطبيعة النظام الدولي، أو في هويات و أفضليات ومصالح الدول.

5.5 الأمن والسلام لدى أتباع البنائية

اهتم أتباع النظرية البنائية بدراسة الأمن والسلام. وقد تركزت دراسات البنائيين على ثلاثة محاور²⁸:

أولاً: أشار بعض البنائيين إلى ما يسمى بثقافة الأمن لدى بعض البلدان التي تحدد الرؤية والسياسات الأمنية التي تضعها هذه الدول فيما يتعلق بأمنها القومي، تأسسها على كتابات البنائيين الأوائل حول الثقافة والقيم والهوية، يحاور أتباع النظرية البنائية دراسة الأثر التراكمي لتشكيل نوع من الثقافة ملامحها الأساسية "الأمن" أي أن ارتكازها الأساسية المنطقية هي تحقيق الأمن والسلام كأولوية للحكومة المركزية. وهذا يقود إلى تداول مفاهيم وقيم تتعلق بالأمن. وتصبح هذه المفاهيم والقيم جزءا كبيرا من الإطار الاجتماعي "البناء" الذي يتفاعل معه الأفراد. وفي ظل ذلك التفاعل تصبح ثقافة الأمن هي العامل الأساسي في رسم السياسات للدول.

ثانياً: طور مجموعة من أساتذة العلاقات الدولية مجموعة من الدراسات التي استمدت من دراسات "كارل دويتش" وتركزت أغلبها الدراسات في هذا المجال حول عدة أسئلة، كيف تؤثر القيم والمؤسسات للمجتمعات الأمنية في السياسات الأمنية للدول؟ وكيف تتغير التجمعات الأمنية؟

ثالثاً: المحور الثالث تمثل في انخراط مجموعة من البنائيين في الجدول المتعلق بمفهوم الأمن القومي.

من المعروف أن مفهوم الأمن القومي كان دائما يركز على الجانب العسكري، وخاصة خلال الحرب الباردة والذي ارتبط بشكل كبير بأدبيات نظرية الواقعية في العلاقات الدولية إذ يشكل الأمن القومي المفهوم الأساسي الواقعية، في حين يتفق البنائيون على تصور الأمن كبناء اجتماعي، يعني أشياء مختلفة في سياقات مختلفة

"الأمن"، فهو يبنى بشكل اجتماعي وتذاتاني، كما تعتبر الهوية والمصالح والمعايير والأفكار من الفرضيات الأساسية المشتركة للمقاربة البنائية للأمن، وأدوات للتحليل قدمتها كتحدٍ لمواجهة ما عجزت عنه النظريات الأخرى لتفسير ما حدث.

6. الأسس المنهجية للنظرية البنائية

انتقدت البنائية المنهج الأحادي الذي اعتمدت عليه الواقعية الجديدة، حيث اعتمدت على منهجية الاقتصاد الجزئي، وكذا اعتمادها على نفس المنهج الذي يطبق على العلوم الطبيعية ويطبق أيضا على العلوم الاجتماعية وأنهما من نفس النوع. كما أن البنائية انطلقت من النقد الذي وجهه لها بعض الوضعيون من أمثال "كيوهن" و"ميرشايمر" على إنها لا تملك المناهج والأدوات لقياس الأفكار والهويات وتأثيرها على سلوك الفواعل، كما انطلقت أيضا من أن المنهج الوضعي في العلوم الطبيعية قد يدفع بالباحث إلى تجزئة الحقيقة. لذلك نجد "وندت" يؤكد أن المنهج الذي يطبق على ما يمكن مشاهدته فقط هو مشروع للتحليل قاصر واختزالي.

لقد استخدمت البنائية المنهج العلمي السلوكي في معالجة بعض المسائل مثل: الحركية وسيرورة الأحداث الدولية، معتقدات وإدراكات الفاعلين ومواقفهم ومسألة الهوية... الخ. وجنبا إلى جنب مع هذا المنهج، استعملت البنائية تقنية تحليل المضمون في تحليل الخطاب ولا سيما في مسألة الهوية سواء ذلك الخطاب الرسمي الصادر عن صناع القرار أو ذلك الخطاب السائد داخل المجتمع، والذي يعبر عن مجموع القيم والمعتقدات المكونة لهوية مجموعة معينة من الأفراد. ويعد "ديفيد كامبل" أول المطبقين لهذه التقنية ففي تفسيره لمسألة الهوية، توصل "كامبل" إلى نتيجة مفادها أن الهويات تتشكل في خضم الاختلاف بين ما هو داخلي وما هو خارجي.²⁹

نستنتج مما سبق أن البنائية حاولت المزاجية بين المنهج العلمي في ممارسة البحث الاجتماعي من جهة، والاستفادة من المناهج القائمة على التفاعلية الرمزية والسيكولوجية في تحليل وفهم السلوكيات الاجتماعية والإنسانية من جهة أخرى.

7. البنائية كجسر بين النظريات الوضعية والنظريات ما بعد وضعية:

شهد الجدل الراهن في العلاقات الدولية سجلا بين النظريات الوضعية من جهة، وما بعد الوضعية من جهة أخرى. هذا الجدل بدأ يتبلور بشكل كبير خلال الثمانينيات من القرن الماضي، فقد انطلق أتباع النظريات الوضعية من فرضية إمكانية دراسة العلاقات الدولية بالطرق العلمية المستخدمة بالعلوم الطبيعية. والتركيز على الملاحظة والتجربة في الحصول على المعرفة، وعلى الموضوعية في البحث العلمي، والابتعاد عن القيم في إطار ما يسمى بالتيارات العقلانية. أما ما بعد الوضعية فتنتقد الافتراضات الاستيمولوجية للوضعية، وتعطي أهمية كبرى للقوى، والعوامل الاجتماعية التي أهملتها التيارات الوضعية، هذه التيارات اهتمت أيضا بالثقافة والتاريخ، والأفكار، كعوامل تؤدي دورا كبيرا في العلاقات الدولية.

أما البنائية فهي تأخذ من الوضعية اهتمامها بالدولة كفاعل أساسي في العلاقات الدولية، وأن المصلحة الوطنية والأمن القومي محددان لسلوك الفاعل، ولكن أيضا تأخذ من التيارات ما بعد الوضعية التركيز على الهوية والأفكار والقيم. فالمصلحة الوطنية لدى البنائية ليست كما يعتقد الوضعيون بأنها دائما معرفة بالأمن القومي أو معطى ثابت، بل هي ناتجة عن عملية التفاعل أو معطى ثابت، بل هي ناتجة عن عملية التفاعل بين الفاعل والبناء وهنا يأتي دور الأفكار والهوية. وهذا ما يركز عليه أتباع التيارات النقدية، وهذا ما يجعل البنائية جسرا بين التيارين.

باختصار يمكن القول أن البنائية جاءت كبديل عن الاتجاهات النظرية التقليدية الوضعية لمرحلة الحرب الباردة. وهي تحاول أن تربط بين الأبعاد المادية، الذاتية والتذاتانية في العلاقات الدولية³⁰، باعتبارها علاقات إنسانية بالدرجة الأولى، وتتجلى أهمية البنائية في مواقفها الاستيمولوجية، الأنطولوجية والمعيارية الوسطية. إذ تمثل تصورا وسطيا توفيقيا بين الاتجاهات النظرية الوضعية (التفسيرية) والنظريات ما بعد الوضعية (التكوينية). فهي وضعية في تركيزها على التفسير العلمي، وهي ما بعد وضعية في تركيزها على التذاتانية، وقد ظهر ذلك جليا فيما يسمى بالمحاور الثلاثة في العلاقات الدولية، مما يبنى بإمكانية بروز نظرية كوسموبوليتانية للعلاقات الدولية، تجمع كل الاتجاهات النظرية الوضعية والمابعد وضعية تحت مسمى نظرية تفسيرية -تكوينية للعلاقات الدولية.

8. الجوانب التطبيقية للنظرية البنائية في العلاقات الدولية

في واقع الأمر ومن النواحي العملية تكمن أهمية دراسة الجوانب التطبيقية للنظرية البنائية كون أن العالم المستقبلي يصنع عن طريق الثقافة والإعلام والقيم والسلوك، فالدول أدركت على سبيل المثال أنها لا يمكن أن تتمكن من أن تلعب دورا محوريا سواء في المجال الإقليمي أو الدولي وهي تتبنى في الداخل سياسات ثقافية واجتماعية متناقضة أو متعارضة مع هذا الدور، وكتوضيح لذلك يمكن القول أن تبني روسيا الاتحادية لأطروحات وأنموذج القيم المحافظة على المستوى الداخلي كان شرطا ضروريا للعودة إلى دور القوة العظمى على المستوى العالمي، إذ كان من البديهي أن روسيا لا تستطيع أن تقوم مثلا بدور المواجهة مع الغرب والسعي لبناء عالم متعدد الأقطاب وهي تتبنى على المستوى الداخلي القيم الاجتماعية والغربية ذاتها، لقد كان من الصعوبة الجمع بين هذين المتناقضين، وذات التوجه يمكن ملاحظته في السياسات الصينية التي لا تبتعد كثيرا عن هذا المفهوم أدركت أيضا أهمية هذا العامل، لذلك ليس من المستغرب أن تتفق بكين ما مجموعه 7 مليار دولار في مواضيع الثقافة والإعلام، ومن الواضح أيضا أن القاعدة السابقة تنطبق أيضا على أي دولة سواء في منطقة الشرق الأوسط أو خارجها تريد أن يكون لها أدورا إقليمية حقيقية مؤثرة، إذ أن العودة للذات هي شرط أساسي وضروري للعودة إلى لعب مثل تلك الأدوار.

وفي إطار آخر، تلعب الثقافة - كما رأينا سابقا - دورا هاما في أدبيات النظرية البنائية، لأنها تساهم في تحديد وتحليل السلوكيات الدولية، كما تساهم في خلق مجتمعات أكثر وعيا لأنها تساعد في معرفة هويتهم،

تجعلهم يحددون "ما يريدون" وكيف "يريدون". وهذا ما يمكن ملاحظته وإن كان بشكل جزئي في قضية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي ووحدة الشعب البريطاني ضد سياسات الاتحاد الأوروبي، وفضلا عن حملة الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" وشعاره "أمريكا أولا" بالإضافة إلى تعالي الأصوات لعودة روسيا كقوة عظمى ونمو القوة الكونفوشية في الصين، ومن جانب آخر، فإنّ النظرية البنائية هي الأمثل لتفسير الصراعات والعلاقات البينية في منطقة الشرق الأوسط، وذلك لأنّ هذه الدول مازالت تمرّ بمرحلة بناء الدولة ومرحلة بناء الهوية الوطنية، وهي تعاني من أزمة هوية وأزمة اندماج وتكامل وطني، وذلك بفعل عملية تأسيسها من قبل الاستعمار الفرنسي والبريطاني الذي قام بتفكيك وتقسيم هذه المنطقة وترسيم حدودها دون مراعاة الهويات العرقية والدينية والثقافات المحلية وخصوصية هذه المنطقة.

وبالعودة إلى مفهوم "الفهم الجماعي" أو "الأفكار الجمعية المشتركة" والناجمة عن ذلك التفاعل المستمر والمتبادل بين الأفراد، فيمكن تطبيق واستخدام هذا المفهوم عند محاولة تحديد هوية دولة ما، فعند النظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية يمكن النظر إليها وفق عدّة أوجه كقوة عظمى مهيمنة، وعدو والعديد من الدول التي ترفض هيمنتها، مثل، كوريا الشمالية، وكدولة استعمارية بالنسبة للدول التي تعرضت لغزوها مثل "فيتنام" وكصديق وحليف استراتيجي لدول مثل "بريطانيا، كولومبيا فالممارسات الاجتماعية حسب البنائيين لا تعيد إنتاج الفاعلين فقط من خلال هوياتهم، ولكنها تعيد أيضا إنتاج الهياكل الاجتماعية القائمة على مفهوم "الفهم الجماعي"³¹، وبمعنى آخر يمكن شرح هذه الفكرة بالمثال التالي، إنّ دولة إيران قبل قيام الثورة الإسلامية. أي زمن حكم الشاه - كانت دولة مثالية جدا وحليفا استراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، أمّا بعد قيام الثورة عام 1979 والتغيير الذي أحدثته في هوية الدولة الإيرانية، تغيرت معها نظرة الولايات المتحدة الأمريكية إلى إيران، لتصبح دولة وصفت ضمن دول "محور الشر"، وبالتالي هذا تفسّره النظرية البنائية من إمكانية التغيّر بسبب التفاعل المستمر بين الفاعل والبناء، وبأنه عندما تتغيّر هوية الدولة فالمصالح أيضا تتغيّر. وبناء على ما سبق، ولكي نفهم بأنّ التغير الأساسي في بنية وطبيعة السياسة الدولية يحصل عندما تتغيّر هوية وعقيدة الفواعل الدولية، وبشكل تتغيّر معه أيضا الثقافة والقواعد والقيم المنشئة لممارستها السياسية ولهذا يمكن القول بأنّ النظرية البنائية تعتبر مدخلا يحتوي على قيمة تحليلية كبيرة بالنسبة لباحثي العلاقات الدولية لفهم بعض ظواهر السياسة الدولية بناء على أسس مهمة ومنها بالتأكيد (الثقافة والهوية).

9. خاتمة :

إن عجز نظريات الاتجاه التفسيري على بلورة اتجاه نظري متكامل في العلاقات الدولية، كان من بين الأسباب التي مهدت السبيل أمام ظهور نظريات الاتجاه التكويني، ومن بينها النظرية البنائية التي حاولت الإلمام بكل عناصر ومتغيرات النظرية بغية تقديم منظور متكامل يؤسس لبناء نظرية عامة للعلاقات الدولية.

- لقد استطاعت النظرية البنائية تفسير العديد من الظواهر السياسية في حقل العلاقات الدولية والتنبؤ بها

وادخالها لعناصر جديدة لمفهوم القوة يستند الى مقومات غير مادية تضاف الى المكونات المادية كالبناء الاجتماعي للقوة لفهم حركية وتفاعل ثنائية الفاعل/البنية.

- أضافت البنائية فكرة ان العالم الاجتماعي ليس معطى مستقل بذاته بل هو نتاج الأشخاص الذين صنعوه بأنفسهم ويعيشون داخله، والذين يفهمونه بدقة كونهم هم من أوجدوه ويشعرهم بالانتماء والأمان، وهو ما يجعله واضحا ومفهوما لهم. وهو عالم مكون من الوعي الإنساني، من الأفكار والمعتقدات ومن المبادئ واللغات، من الإشارات والمفاهيم السائدة بين البشر وبخاصة بين الجماعات البشرية مثل الأمم والدول.
- لكن الملاحظ ان النظرية البنائية أغفلت دور بعض الفواعل غير الدولاتية في التأثير على بناء القوة الذي لم يعد مفهوما ماديا فحسب ولا مفهوما ثابتا والدلائل كلها تشير إلى ذلك ظهور تأثيرات الإرهاب الدولي والجريمة العابرة للحدود وقضايا الهجرة وغيرها على اعتبار أن المكونات الاجتماعية تخضع كذلك لقانون التطور والتغير مثلها مثل العوامل المادية لقوة الدولة، بعض مفاهيم النظرية كالهوية تحتاج هي كذلك الى تفكيك بغية فهمها. كما لا يمكن إغفال دور العامل الخارجي لا سيما دور الدول الكبرى في توجيه وتغذية النزعة الاستقلالية لبعض الكيانات الاجتماعية والثقافية المختلفة، وهو ما يهدد وحدة وكيان الدولة وكذلك إغفال النظرية البنائية لفكرة الشك والريبة التي تميز النظام الدولي.

الهوامش:

¹ عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر : دار الخلدونية ، ط.1، 2007، ص. 232.

² شحاتة صيام : النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة ، مصر : العربية للنشر والتوزيع ، 2009 ، ص 61.

³ نبيل حميد شة : البنائية الوظيفية: دراسة الواقع والمكانة ، من الموقع الإلكتروني www.bsociologie.com/2016/11/blog-post-57-litul , تاريخ الزيارة الموقع : 2020/01/ 02

⁴ حسن الحاج أحمد : العالم المصنوع : دراسة في البناء الاجتماعي السياسية العالمية ، مجلة الفكر ، السنة 4 ، العدد 33 : أبريل 2005، ص. 3.

⁵ نبيل حميد شة ، مرجع سابق.

⁶ شحاتة صيام ,مرجع سابق. ص. 61.

⁷ محمد الجوهري قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع ، ترجمة : مصطفى خلف عبد الجواد ، القاهرة : مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2002، ص. 371- 372.

⁸ إيمان كريب : النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، ترجمة : محمد حسين علوم ، سلسلة عالم المعرفة، 1999 ، ص 154.

⁹ الطاهر عديلة : تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية : دراسة في المنطلقات والأسس، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة باتنة، 2014 ، ص.349.

- ¹⁰عبد الناصر جندلي ، مرجع سابق ، ص.322.
- ¹¹نفس المرجع.
- ¹²فاطمة الزهراء حشاني : النزاعات الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة على ضوء اتجاهات النظرية الحديثة ,رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية ، جامعة باتنة ، 2007، ص. 34.
- ¹³نفس المرجع ، ص.96.
- (*) - لا يعتبر كل البنائيون وضعيون ابستمولوجيا، ومن نقصدهم هنا هم أولئك البنائيون الذين يعتقدون بإمكانية التقريب بين المقاربات النظرية العقلانية ونظيرتها من التأملية .
- ¹⁴محمد الطاهر عديلة ، مرجع سابق ، ص352.
- ¹⁵نفس المرجع.
- ¹⁶عبد الناصر جندلي ، مرجع سابق ، ص.323.
- ¹⁷نفس المرجع ، ص325.
- ¹⁸نفس المرجع.
- ¹⁹محمد الطاهر عديلة ، مرجع سابق ، ص 356 .
- ²⁰ألكسندر وندت : النظرية الاجتماعية السياسية الدولية، ترجمة : عبد الله جبر صالح العتيبي ، جامعة الملك سعود ، السعودية ، 2006، ص.02
- ²¹خالد موسى المصري : مدخل إلى نظرية العلاقات الدولية ، دمشق : دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، 2014، ص.211.
- ²²نفس المرجع ، ص 212.
- ²³عبد الناصر جندلي ، مرجع سابق ، ص.327.
- ²⁴Ted Hopf : The promise of Constructivism in International Relations Theory, international security, vol,23 N°01, Summer 1988,p. 175.
- ²⁵محمد الطاهر عديلة ، مرجع سابق ، ص 370.
- ²⁶وندت، مرجع سابق ، ص03.
- ²⁷نفس المرجع.
- ²⁸خالد موسى المصري، مرجع سابق ، ص. 215.
- ²⁹عبد الناصر جندلي ، مرجع سابق ، ص.327.
- ³⁰نفس المرجع.
- ³¹حسن الحاج أحمد ، مرجع سابق ، ص. 176-177

قائمة المراجع:

باللغة العربية

*الكتب

- 1-الجوهري محمد :قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع ، ترجمة : مصطفى خلف عبد الجواد ، القاهرة : مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2002.

- 2- المصري خالد موسى: مدخل إلى نظرية العلاقات الدولية، دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2014.
- 3- عبد الناصر جندلي: التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر: دار الخلدونية، ط.1، 2007.
- 4- صيام شحاتة: النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، مصر: العربية للنشر والتوزيع، 2009.
- 5- كريب إيمان: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد حسين علوم، سلسلة عالم المعرفة، 1999.
- 6- وندت ألكسندر: النظرية الاجتماعية السياسية الدولية، ترجمة: عبد الله جبر صالح العتيبي، جامعة الملك سعود، السعودية، 2006.

*المجلات

- 1- أحمد حسن الحاج: العالم المصنوع: دراسة في البناء الاجتماعي السياسية العالمية، مجلة الفكر، السنة 4، العدد 33: أبريل 2005

*الأطروحات

- 1- فاطمة الزهراء حشاني: النزاعات الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة على ضوء اتجاهات النظرية الحديثة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2007.
- 2- عديلة الطاهر: تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والأسس، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة باتنة، 2014.

مواقع الكترونية

- 1- نبيل حميد شة: البنائية الوظيفية: دراسة الواقع والمكانة، من الموقع الإلكتروني: www.bsociologie.com/2016/11/blog-post-57, تاريخ الزيارة الموقع: 2020/01/02

باللغة الأجنبية

- 1- Ted Hopf: The promise of Constructivism in International Relations Theory, international security, vol,23 N°01, Summer 1988.